

﴿قُلْ أُولُوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ عَابَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: 24 - 25]

✽ مُنَاسِبَةُ الْآيَتَيْنِ لِأَمْرِهِمَا:

تَرْقُّ فِي بَيَانِ
مَوْقِفِ الْكَافِرِينَ
مِنَ الرِّسَالَةِ
وَالرَّسُولِ

لَمَّا أوردَ النَّظْمُ الجليل حديثَ الكفار والمشركين في عصر نزول القرآن على النَّبِيِّ ﷺ، انتقلَ إلى الحديث عن أسلافهم السابقين؛ من الأمم التي كذَّبت الرُّسُلَ^(١)؛ فحكى النَّظْمُ الجليل عنهم قولهم: إِنَّا ثابتون على دين آبائنا، لا ننفضُ عنه، وإنَّ جئتنا بما هو أهدىٰ فإنَّا كافرون به؛ فعند هذا استحقَّوا العذابَ، ولم يبقَ لهم عُذْرٌ ولا عِلَّةٌ، فأتبعَهُ تعالى بذكر العقاب فقال: ﴿فَإِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿فَإِنْتَقَمْنَا﴾: (نقم) أصلٌ يدلُّ على إنكارِ شيءٍ وعيِّبه، ونَقَمْتُ عليه أَنْقَمَ: أنكرتُ عليه فعله، والنَّقْمَةُ مِنَ الْعَذَابِ والانتقام، كَأَنَّهُ أَنْكَرَ عليه فَعَاقَبَهُ^(٣)، وقال الخليل: نَقَمَ يَنْقِمُ: أي: أنكر ولم يرضَ، وانْتَقَمْتُ منه: كافأته عقوبةً بما صنع^(٤)، والنَّقْمَةُ: المكافأة بِالْعُقُوبَةِ، ونَقَمْتُ الأَمْرَ ونَقِمْتُهُ: إذا كرهته، وانتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ: أي: عاقبه، والاسْمُ مِنْهُ النَّقْمَةُ^(٥)، والمراد به في الآية الكريمة الإهلاكُ بعذاب الاستئصال^(٦).

(١) الطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 46.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 628.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقم).

(٤) الخليل، العين، وابن عباد، للحيط في اللغة: (نقم).

(٥) ابن منظور، لسان العرب: (نقم).

(٦) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414.

(2) ﴿عَقَبَةُ﴾: (عقب) أصلٌ يدلُّ على تأخير شيءٍ وإتيانه بعد غيره⁽¹⁾، والعَقَبُ: مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُعَقَّبُ شَيْئًا فَهُوَ عَقِيبُهُ؛ كَقَوْلِكَ: خَلَفَ يَخْلُفُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِذَا قَضَى أَحَدُهُمَا عَقِبَ الْآخَرِ فَهُمَا عَقِيبَانِ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَقِيبٌ صَاحِبُهُ، وَعَقِبُ الْأَمْرِ: آخِرُهُ، وَعَاقِبَةُ كُلِّ شَيْءٍ: آخِرُهُ⁽²⁾، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَفَ بَعْدَ شَيْءٍ فَهُوَ عَاقِبٌ لَهُ⁽³⁾، وَالْمَرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: آخِرُ الْأَمْرِ⁽⁴⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يَحْكِي النَّظْمُ الْجَلِيلُ عَنِ الرُّسُلِ قَوْلَهُمْ لِأَقْوَامِهِمُ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالتَّقْلِيدِ: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَكُمْ وَلَوْ جَنَانًا كَمِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ بِأَهْدَى طَرِيقٍ إِلَى الْحَقِّ وَأَدْلَى عَلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ مِنَ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ؟ فَحَكَى عِنَادَهُمْ وَإِصْرَارَهُمْ إِذْ قَالُوا: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ جَا حِدُونَ مُنْكَرُونَ؛ فَتَسَبَّبَ عَنْ كُفْرِهِمْ ذَلِكَ أَنْ عَذَّبْنَا هُمْ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ بِإِحْلَالِنَا الْعُقُوبَةَ بِهِمْ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ وَنَهَايَتُهُ؛ كَيْفَ صَارَتْ؟ فَقَدْ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَجَعَلْنَاهُمْ عِبْرَةً لغيرِهِمْ، فَلْيَحْذَرُوا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ؛ فَيَصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ السَّابِقِينَ⁽⁵⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالةُ فصلِ الجملةِ في صدر الآية:

فَصَلَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْجُمْلَةَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قُلْ أَوَّلُو جَيْتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾؛ لِأَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا، سَيَقَتْ لِلْجَوَابِ عَنْ سَوْأَلٍ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَاذَا قَالَ كُلُّ نَذِيرٍ لِأُمَّتِهِ عِنْدَ ذَلِكَ؟ وَلِذَا تَرَكَ الْعَطْفَ⁽⁶⁾.

ذُرُوءُ التَّحْدِي
وَذُرُوءُ الْإِنْكَارِ
وَالرَّفْضِ يُنْبِئُ
بِمَجِيءِ الْعِقَابِ

الْمَحَاوِرَةُ فِي
الْخُطَابِ مُغْنِيَةٌ
عَنِ الْعَطْفِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).

(2) الخليل، العين: (عقب).

(3) الأزهرى، تهذيب اللغة: (عقب).

(4) البقاعي، نظم الدرر: 414 / 17.

(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 587 / 21 - 588، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 491 / 1.

(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 306 / 17.

حال قوم رسول
الله يقتضي
التفصيل
بالقراءتين معاً

التَّوْجِيهَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِقِرَاءَتِي الْفِعْلِ: ﴿قُلْ﴾:

قرأ فعل القول ماضياً في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُولُو جِثَّتِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ ابن عامرٍ وحفصٌ، وقرأه الباقر بن بغير ألفٍ على الأمرِ ﴿قُلْ﴾⁽¹⁾، وقرأه الأمر خطاباً للرسول ﷺ بأن يقول ذلك جواباً عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾⁽²⁾، ويكون الضمير في قراءة الماضي ﴿قُلْ﴾ عائداً إلى ﴿نَذِيرٍ﴾ جواباً لقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾؛ فحصل من مجموع القراءتين أنَّ جميع الرُّسل أجابوا أقوامهم بهذا الجواب، وعلى كلتا القراءتين جاء فعل ﴿قُلْ﴾ أو ﴿قُلْ﴾ مفصلاً غير معطوف؛ لأنَّه واقعٌ في مجال المحاورَة⁽²⁾، وكان من الممكن أن يُسند فعل القول إلى ضمير الجماعة (قالوا أُولُو جِثَّتِكُمْ) العائد إلى مجموع الرُّسل النُّذُر؛ وعلى رأسهم سيِّدنا رسولُ الله محمدٌ ﷺ؛ لا سيما أنَّ ثمة قراءة متواترة بالجمع، وهي قراءة أبي جعفر المدني: ﴿قُلْ أُولُو جِثَّتِكُمْ﴾⁽³⁾، ولكنَّ القراءتين تفصيلٌ ترتَّب على التفصيل في عرض مقالة قريش لرسول الله في الآية الثانية والعشرين، ومقالة الأقوام السابقين لرسولهم في الآية التي بعدها، وقراءة الفعل الماضي إمعانٌ في التفصيل، بالنَّص على مقالة كلِّ رسولٍ نذيرٍ لهم؛ وهذا التفصيل كلُّه أبلغ في التَّسْلِيَةِ والتَّسْرِيَةِ عن نبينا ﷺ من جهة؛ وفي ترهيب قومه الكفَّار بأحوال السابقين التي اقتضت عقابَ الله وعذابه في الدُّنيا قبل الآخرة؛ لأنَّهم قومٌ مُسْرِفُونَ في الكفر، من جهةٍ أخرى؛ فكانتِ القراءتان من مقتضيات السِّياق.

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 369، والدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 495.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 189.

(3) أبو جعفر يبدل الهمز الساكن ويضم ميم الجمع وصلًا.

بلاغة التعبير بالاستفهام في: ﴿أَوَلَوْ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِحَرْفِ الاسْتِفْهَامِ (الهمزة) فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّجْهِيلِ ⁽¹⁾، أَيْ: أَتَتَّبِعُونَ دِينَ آبَائِكُمْ وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِدِينٍ أَهْدَىٰ مِنْهُ؟ ⁽²⁾، فَالْهَمْزَةُ لِلْاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ الْمَشُوبِ بِالْإِنْكَارِ؛ فَالْمَقْصُودُ تَقْرِيرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، لَا اسْتِدْعَائِهِمْ إِلَى النَّظَرِ فِيمَا اتَّبَعُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ؛ لَعَلَّ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ، وَقُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ عَلَى الْوَاوِ لِأَجْلِ التَّصْدِيرِ، وَالتَّقْدِيرِ: أَتَقْتَدُونَ بِهِمْ وَلَوْ جِئْتُكُمْ؟ ⁽³⁾، فَالْهَمْزَةُ دَاخِلَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ مُقَدَّرَةٍ دَلَّ عَلَيْهَا السِّيَاقُ، ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهَا بِالْوَاوِ ⁽⁴⁾.

ليس من شأن
العاقل اتباع غير
الحق

بلاغة العطف بالواو:

عُطِفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ جُمْلَةً (لَوْ جِئْتُكُمْ) فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ بِالْوَاوِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمَقْدَّرَةِ بَعْدَ هَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ، وَالتَّقْدِيرُ: (أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَكُمْ وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِدِينٍ أَهْدَىٰ مِنْ دِينِهِمْ؟) ⁽⁵⁾، وَهَذَا الْعُطْفُ مِمَّا يُسَمَّى عُطْفَ التَّلْقِينِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124] ⁽⁶⁾، فَقَدْ وَقَعَ الْعُطْفُ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ لِقَائِلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، مَفْصُولَتَيْنِ بِالْفِعْلِ: ﴿قُلْ﴾، وَالتَّكَلُّمِ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ مُجَارٍ لِلْمَخَاطَبِ عَلَى قَوْلِهِ؛ فَالرَّسُولُ قَدْ جَارَى الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِمْ بَأْنَهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى دِينٍ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤْمَ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُ؛ تَلَطُّفًا مَعَهُمْ، وَمَدَارَةً لَهُمْ.

التَّلاطُّفُ فِي
دَعْوَةِ الصَّالِحِينَ
وَمُجَارَاتِهِمْ أَصْلًا
فِي الدَّعْوَةِ إِلَى
اللَّهِ

نكتة التعبير بـ(لو):

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بـ(لو) فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ

(1) الطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 47.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 245.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 44، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 190.

(4) الخفاجي، غنايه القاضي: 7/ 438.

(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 245.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 189.

الكافرون
يعلنون إعلان
الكفر في كل
الأحوال، حتّى
في حال ظهور
الهدى والحقّ

مقام رسولنا
أعلى مقام في
الأنبياء والرّسل

بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ⁽¹⁾؛ وهي هنا شرطية بمعنى (إن)، فهي حرف شرط للمستقبل غير جازم، أي: (إنّا ثابتون على دين آبائنا وإنّ جئنا بما هو أهدى، وإنّا كافرون بدينكم وإنّ كان أهدى ممّا كنّا عليه)⁽²⁾، كقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: 9]⁽³⁾، فهي حرف شرط حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه، والمقصود به المبالغة، ويُقال لها الوصلية؛ لأنّها أفادت الوصل والرّبط مع التّأكيد⁽⁴⁾، فهو تأكيد لفساد نيّاتهم، وقد جاء التّعبير بهذا الأسلوب إلجاء لهم إلى الاعتراف بسوء نيّاتهم التي يضمّرونها⁽⁵⁾، فهم لا يبتغون الهداية؛ بل محض التقليد الأعمى.

التّوجيه البلاغي لقراءتي: ﴿جِئْتُكُمْ﴾:

قرأ أبو جعفر المدني قوله تعالى: ﴿جِئْتُكُمْ﴾ بالنّون في موضع التّاء مع ألف بعدها، هكذا: ﴿جِئْتُكُمْ﴾، وقرأه الباقون بقاء المتكلم⁽⁶⁾، فقراءة التّاء بإسناد المجيء إلى مفرد تتناسب مع القراءتين في ﴿قُلْ﴾، و﴿قُلْ﴾؛ وقراءة النّون بإسناده إلى ضمير الجمع تتناسب مع قراءة الأمر ﴿قُلْ﴾؛ وأبو جعفر من الذين قرأوا ﴿قُلْ﴾ بصيغة الأمر؛ فيكون ضمير ﴿جِئْتُكُمْ﴾ عائداً إلى النّبيّ ﷺ المخاطب بفعل ﴿قُلْ﴾؛ لتعظيمه ﷺ من جانب ربّه تعالى⁽⁷⁾، كأنّ في قراءة الجمع نفياً لشبّهتهم التي قالوها في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ من قبل إيراد هذه الشّبهة؛ كما قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [التوبة: 43] ثمّ عاتبه فقال: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: 43]، وهذه فائدة شريفة لمن يتأمل.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 628 / 27.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 344.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 306 / 3.

(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن 78 / 13.

(5) الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 495.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 189 / 25.

ويجوز أن تكون صيغة الجمع للاستتباع؛ أي يُراد بها الرسول محمد ﷺ؛ على أنه استتبع إخوانه من الرسل معه في الكلام؛ وفي ذلك كلُّ تعظيم له أيضاً؛ وتحدثه ﷺ بلسانهم جميعاً لأنه إمامهم وخاتمهم؛ وفي هذا كلُّ تسليّة ربّانيّة له.

دلالة صيغة التفضيل (أهدى):

عبر النظم الجليل باسم التفضيل في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ أَوْلَوْا جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾؛ فأطلق الهدى على منهاج آبائهم المشركين، والضلالة "ليست من الهداية في شيء؛ وإنما عبر عنها بذلك مجازة معهم على مسلك الإنصاف" (1)، فهو إرخاء للعنان، ومجازة لهم تلطفاً معهم، ليتعظوا ويتفكروا، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: 24) (2).

مجازة الكافر
في ظنه؛ إرخاء
للعنان، وابتغاء
للعظة والتذكّر

בלغة التعبير بالوصوليّة في: ﴿مِمَّا﴾:

عبر النظم الجليل بالاسم الموصول (ما) الدالّ على الإبهام والعموم في قوله جلّ شأنه: ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾؛ دون الاسم الصريح، فلم يقل: (أهدى من دين آبائكم)؛ تهوينا لدين آبائهم، وتقليلاً من شأنه؛ في مقابلة غاية تعظيمهم لدين آبائهم، وافتخارهم به، ويُفيد أيضاً أن الأفضليّة واقعة على عموم الأحكام والتعاليم التي يتضمّنها الدينان في سياق المفاضلة، ونظم قوله: ﴿وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ صلة أبلغ في التحدّي؛ فقد ذاع عنهم ذلك القول، واشتهر.

جزئيّات
الشريعة أهدى
من عموم دين
المشركين

دلالة الميّ في صلة الموصول:

آثر النظم الكريم التعبير بالفعل الماضي في صلة الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ لأنهم وجدوا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 44 / 8.

(2) الخفاجي، غنايه القاضي: 7 / 438، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 190 / 25.

آباءهم على ذلك الدّين في زمانٍ قد مضى وانقطع، فهم لا يجدون
آباءهم على التّجدّد والاستمرار.

نكتة تقديم شبه الجملة على المفعول به:

قدّم النّظّم الجليل شبه الجملة على المفعول به في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾؛ فلم يقل: (وجدتم آباءكم عليه)؛ وذلك للاهتمام بشأن الدّين، فهو أصل الخلاف، وتقليد الآباء إنّما وقع لأجل المحافظة على ذلك الدّين.

دلالة إضافة الآباء إلى ضمير المخاطب:

أضاف النّظّم الجليل الآباء إلى ضمير المخاطب في قوله جلّ شأنه: ﴿بَاهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ للتّصريح بأفضليّة الدّين الذي يدعوهم إليه على دين آبائهم، فلمّا أعلنوا تمسّكهم بدين الآباء صرّح بأفضليّة ما يدعوهم إليه مع ذكر الآباء الذين يقدّسونهم؛ تجريئاً لهم على المقارنة بين الدّينين، وحثاً لهم على النّزول من تكبرهم واستعلائهم إلى ملاحظة الفرق بين المنهجين.

سرّ فضل الجملة:

فصل النّظّم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ لأنّها مستأنفة استئنافاً بيانياً، سيقت للجواب عن سؤال نشأ عن الإخبار بالإتيان بدين أهدى ممّا وجد عليه المشركون آباءهم، فكأنّه قيل: ماذا أجابوا؟ فحكى ما أجابوا به⁽¹⁾.

سرّ التّوكيد في جملة مقول القول:

أكّد النّظّم الجليل جملة مقول القول في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ وذلك للدّلالة على إصرارهم على الكفر وتمسّكهم بما ورثوه عن آبائهم⁽²⁾، والمراد من ذلك بثّ اليأس في

مهاجمة الكافر
في أقْدَس ما
يُقَدِّسه تحطيم
لاستكباره،
وتفريغ لأعداره

يُحاولون إظهار
شِدَّة كُفْرِهِمْ،
ردّاً على قوّة
الحقّ وإزهاقه
باطلهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 413 / 17.

(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2 / 298.

نفوسٍ مَنْ يدعونهم؛ فأكدوا ثباتهم على دين آبائهم حتى في حالة مجيء ما هو أهدى منه⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالموصول (ما):

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ (ما) فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾⁽²⁾؛ للدلالة على كفرهم بعموم ما جاء به الرُّسُل⁽²⁾، فقد كفروا بالمعتقدات والأحكام والآداب والوصايا الحسنة، وهذا التعميم إنما يصدر عن الإصرار على الضلال، وترك النظر في أدلة الداعي؛ فهو تعبيرٌ عن العناد والمكابرة.

دلالة التعبير بـ(الإرسال) مادةً، وصيغةً:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِفِعْلِ الْإِرسال فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾⁽³⁾؛ وذلك للدلالة على التَّهْكُمِ بِالمرسلين⁽³⁾؛ إذ إنهم لا يؤمنون بالرسالة أصلاً؛ فذكروا الرسالة مجازاً للمرسلين، أي: "أيُّها المدَّعون للرسالة"⁽⁴⁾، وآثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ بِالْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ؛ للدلالة على أنَّهم كفروا بالرسالة مِنْ أَيِّ مَرْسِلٍ كان⁽⁵⁾، وأسندوه إلى ضمير الجمع دون أن يقولوا: (بما أرسلت)؛ وذلك للدلالة على أنَّهم فعلوا ذلك في حالة الإجماع⁽⁶⁾، وأنَّهم كفروا بالرسالات جميعاً تعبيراً عن كونهم يُكذِّبُونَ الْوَحْيَ بِالجملة؛ وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ.

نكتة تقديم شبه الجملة على المسند:

قَدَّمَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ شِبْهَ الْجُمْلَةِ ﴿بِمَا﴾ عَلَى الْمَسْنَدِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾⁽⁷⁾؛ فلم يقل: (إِنَّا

رَفَضَ الْمُشْرِكِينَ
دَعْوَةَ الْحَقِّ
جَمَلَةً وَتَفْصِيلاً

تَعْبِيرُ الْكَفَّارِ عَنِ
الدَّعْوَةِ بِلَفْظِ
الرَّسَالَةِ تَهْكُمٌ
بِالْمُرْسَلِينَ

حَصَرَ الْكَفْرَ فِي
الرَّسَالَةِ تَأْيِيسٌ
لِلْمُرْسَلِينَ

(1) الراعي، تفسير الراعي: 81/25.

(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 298/2.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 190/25.

(4) النخجواني، الفواتح الإلهية: 298/2.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 413/17.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 44/8.

كافرونَ بما أرسلتم)؛ وذلك لتأكيد كُفرهم بالرسالة، فجعلوه مخصوصًا بما أرسلوا به، بمعنى: أنهم لو كفروا بشيء فإنهم يكفرون بالرسالات، وبالمرسلين.

دلالة التعبير بالكفر مادّةً، وصيغةً:

عبّر النظم الجليل بلفظ الكفر في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(١)؛ للدلالة على الإنكار والجحود، وأنهم قد ستروا ما ظهر من الحق، وقد أفاد التعبير بالجحود إقناط المرسلين من حصول النظر والتفكير في دعوتهم^(٢)، وجاء التعبير باسم الفاعل للدلالة على عرافتهم في الكفر، ورسوخ هذا الوصف فيهم.

معنى الفاء في صدر الجملة، ودلالة التعبير بها:

افتتح النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالفاء، وهي هنا للتفريع؛ فقد فرّعت العقاب على قولهم: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٣)، مع الإشارة إلى أنه وقع عقبه دون طول مهلة من الزمن^(٤)، وهي دالة على السببية؛ فإنهم لما بالغوا في إظهار الكفر، وأبدوا إصرارهم عليه، وكان ذلك مما يوجب المقت الشديد؛ أتبعه بما تسبّب عنه؛ فهو تنبيه على أن علة هلاكهم إصرارهم على الكفر^(٥)، وإيراد العقاب والعلة التي سببته يُراد منه تهديد الكفار بالنبي ﷺ^(٦).

دلالة التعبير بالانتقام مادّةً، وصيغةً:

عبّر النظم الجليل بلفظ الانتقام في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾^(٧) لدلالة الانتقام على إنكار الفعل^(٨)، فكأنه أنكر فعاقب^(٩)، وهذا

الكفر بـ
الظاهر من
الحقّ صفة
راسخة في أهل
الضلال

الانتقام من
المشركين مترتب
على علة الشرك

إنّ الله لا
يظلم أحداً،
وعقابه للعباد
استحقاق
مُسبّب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 413 / 17، والقاسمي، محاسن التأويل: 386 / 8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 190 / 25 - 191.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البضاوي 307 / 17.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 628 / 27.

(5) الراغب، المفردات: (نقم).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقم).

يدلُّ على أَنَّهُم استحقَّوا العقوبة لما أظهرُوهُ مِنَ الكُفْرِ والإصرار عليه⁽¹⁾؛ لأنَّ النِّقمة هي المكافأة بالعقوبة، واسمُ الله ﷻ (المنتقم)، هو البالغ في العقوبة، وهو (مفتعلٌ) مِن نَقَمَ يَنْقِمُ إذا بلغَتْ به الكراهةُ حدَّ السَّخَطِ⁽²⁾، فلمَّا كان فيه معنى المبالغة فسَّروه بأنَّه أَهْلَكَهُم بعذاب الاستئصال⁽³⁾، فإِثَارُ التَّعْبِيرِ بصيغة (الافتعال) إِنَّمَا هو لمجرَّد المبالغة⁽⁴⁾، لأنَّ الله تعالى لا يتكلَّفُ الأشياءَ ولا يُحَوِّجُه منه عليها جهدٌ.

دلالة إسنادِ فعلِ الانتقامِ إلى ضميرِ التَّعْظِيمِ (نا):

أَسَدَ النَّظْمِ الْجَلِيلُ فَعَلَ الانتقامَ إلى صيغة الجمعِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾، إذ الانتقامُ صادرٌ مِنَ اللَّهِ فَكَانَتِ الصِّيغَةُ لِلتَّعْظِيمِ، أي: وقع الانتقامُ بما لله تعالى مِنَ العظمة⁽⁵⁾، وذلك للدَّلالة على هَوْلِ العقابِ وشِدَّتِهِ، فهو واقعٌ بما لله تعالى مِنْ كَمَالِ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، ويجوزُ أَنْ تكونَ هذه الصِّيغَةُ للاستتباع، أي: يُرَادُ بها اللَّهُ تعالى وَجُنُودُهُ استتباعاً؛ وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هو، ومآلُ الوجهين واحد.

دلالة التَّقْيِيدِ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ ﴿مِنْهُمْ﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ في قوله ﷻ: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ للدَّلالة على تَسْلُطِ نَقْمَتِهِ تعالى على أَوْلَئِكَ الْمَكْذِبِينَ الْجَاهِلِينَ⁽⁶⁾؛ فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تعالى بعباده أَنْ لا يَشْمَلَ عِقَابُهُ إِلَّا الْفِئَةَ الَّتِي كَفَرَتْ وَأَصْرَتْ، ولا يَعْمُ جَمِيعَ النَّاسِ.

معنى الفاء ودلالة التَّعْبِيرِ بها في: ﴿فَأَنْظُرْ﴾:

عطفَ النَّظْمِ الْجَلِيلِ الأَمْرَ بالنَّظَرِ على الانتقامِ في قوله جلَّ

أَبْلَغُ الانتقامِ
وأشدُّه ما أَمَرَ به
كاملُ العظمةِ
والقدرةِ ﷻ

لا يُعاقِبُ الله
إِلَّا مَنِ اسْتَحَقَّ
العذابَ

تكونُ معرفةُ
مصيرِ الكافرين
برؤيةِ آثارِ هلاكِ
السَّابِقِينَ

(1) النفسى، مدارك التنزيل: 270 / 3.

(2) ابن منظور، لسان العرب: (نقم).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 414 / 17.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 191 / 25.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 414 / 17.

(6) الهري، حدائق الروح والريحان: 215 / 26.

شأنه: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ بالفاء للدلالة على السببية⁽¹⁾؛ فَإِنَّ التَّأْمُلَ والتَّفَكُّرَ إنما يكون بسبب ما وَقَعَ لهم من عذاب الهلاك والاستئصال؛ وهذا يعني عِظَمَ ذلك الانتقام، ويشيرُ أيضًا إلى أَنَّ آثار تلك الأقوام التي هلكت بالانتقام موجودة⁽²⁾؛ فهي شاخصةٌ تُثيرُ فكرَ مَنْ يراها ويتَّعِظُ بها؛ فيتأملُ حالَهُم ومآلَهُم.

دلالة التعبير بالنظر مادةً، وصيغةً:

آثر النِّظْمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ النَّظَر في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾؛ والمرادُ به نَظَرُ التَّأْمُلِ والتَّفَكُّرِ، لا نَظَرُ البَصَرِ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يَرِ حالة الانتقام فيهم⁽³⁾، وكذلك أهل الإيمان، وجاء التَّعبيرُ عن ذلك بفعلِ الأمر للدلالة على عِظَمِ أثرِ النِّقْمَةِ⁽⁴⁾؛ فَإِنَّهَا عِظَةٌ لِّلسَّامِعِ ورَادِعَةٌ لِّلنَّاطِرِ، والمخاطَبُ بفعلِ الأمر عمومُ القادرين على النَّظَرِ والتَّفَكُّرِ والاعتبار، أي: "فَأَنْظُرْ أَيُّهَا الْمُعْتَبِرُ النَّاطِرُ"⁽⁵⁾، والغرضُ من هذا الأمرُ تسليَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وإرشادُهُ إلى عَدَمِ الاكتراثِ بتكذيبِ النَّاسِ⁽⁶⁾، ولعلَّه إِنَّمَا أَمَرَ بِالنَّظَرِ دونَ أن يقول: (فتأمل)، أو: (فتفكر)، لأنَّ النَّظَرَ كأنَّه يستدعي صورةً مَنْ يَنْظُرُ بعينه شيئًا بِتَمَعْنٍ؛ ليراهُ واضِحًا، فقليلٌ لِّلتَّفَكُّرِ في شيءٍ لإبصارِ حقيقته: (نَظَرَ)، فهو سبيلٌ لإدراكِ الحقيقة، كإدراكِ النَّاطِرِ شيئًا بعينه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 414 / 17.

(2) القنوجي، فتح البيان: 344 / 12.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 191 / 25.

(4) الخطيب، السراج المنير: 559 / 3.

(5) النخجواني، الفواتح الإلهية: 298 / 2.

(6) الراعي، تفسير الراعي: 81 / 25.

الانْتِقَامُ والتَّفَكُّرُ
بمِصَارِعِ الكُفْرَةِ
مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا

دلالة الاستفهام بـ ﴿كَيْفَ﴾:

آثَرَ النَّظْمُ التَّعْبِيرَ بِاسْمِ الاسْتِفْهَامِ ﴿كَيْفَ﴾ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ إشارَةً إِلَى أَنَّ عِقَابَهُمْ، وَحَالَتَهُ مِنَ الْعِظَمَةِ، جَدِيرَةٌ بِأَنْ يَتَفَكَّرَ فِيهَا الْعَاقِلُ الْبَصِيرُ⁽¹⁾.

دلالة التعبير بلفظ (العاقبة):

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِلَفْظِ الْعَاقِبَةِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى نَهَايَةِ أَمْرِهِمْ وَخَاتِمَتِهِ، عَلَى جِهَةٍ تَرْتُبُهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ إِصْرَارٍ عَلَى الْكُفْرِ؛ وَهَذَا أَدْلُ عَلَى التَّرْهِيْبِ وَالتَّهْدِيدِ؛ فَقَدْ أَصْبَحُوا مَثَلًا يُضْرَبُ، وَعِبْرَةٌ تُعْتَبَرُ⁽²⁾.

دلالة التعبير باسم الفاعل ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ عَنِ التَّكْذِيبِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ عَلَى وَزْنِ (مُفْعَلٍ) بِتَضْعِيفِ الْعَيْنِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾؛ وَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُصْرِّينَ عَلَى التَّكْذِيبِ⁽³⁾، وَأَنَّهُمْ عَرِيقُونَ فِيهِ، وَأَنَّ الْوَصْفَ ثَابِتٌ لَهُمْ لَا يَزُولُ.

شِدَّةُ تَكْذِيبِهِمْ
وإِصْرَارِهِمْ عَلَيْهِ
صِفَةٌ رَاسِخَةٌ فِي
أَهْلِ الْكُفْرِ

❁ الفُروْقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:**العاقبة والنَّهْيَةُ:**

(العاقبة) مَا يَعْقُبُ شَيْئًا وَيَخْلُفُهُ بَعْدَهُ؛ سَوَاءٌ أَكَانَ الثَّانِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، أَمْ لَا؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ يَدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ شَيْءٍ، وَإِتْيَانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ⁽⁴⁾، وَأَمَّا الْمُتَنَهَّى أَوْ النَّهْيَةُ فَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَعْقُبُ شَيْئًا، وَلَا يَعْقِبُهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ وَبُلُوغٍ⁽⁵⁾، وَالنَّهْيَةُ: الْغَايَةُ، يُقَالُ: بَلَغَ نِهَآيَتَهُ⁽⁶⁾،

العَاقِبَةُ أَعَمُّ مِنَ
النَّهْيَةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 414 / 17، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 191 / 25.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 386 / 8.

(3) النخجواني، الفوائد الإلهية: 298 / 2.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).

(6) الجوهري، الصحاح: (نهي).

وَأَنهَيْتُ إِلَيْهِ السَّهْمَ: أَوْصَلْتُهُ إِلَيْهِ، وَانْتَهَى: بَلَغَ. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۖ﴾ [النازعات: 44]، أَي: عِلْمٌ مَّوْعِدِ السَّاعَةِ يَنْتَهِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَي: يَتَوَقَّفُ الْعِلْمُ بِوَقْتِهَا عِنْدَهُ تَعَالَى⁽¹⁾، وَعَبَّرَ فِي الْآيَةِ بِالْعَاقِبَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ الْجَزَاءَ الَّذِي عَقَّبَ جُرْمَهُمْ، فَهُوَ شَيْءٌ يَعْقُبُ شَيْئًا، وَيَخْلُفُهُ، فَعَبَّرَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ كَانَ نَتِيجَةً لِفَعْلِهِمْ؛ فَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِمْ أَنْ أَصْبَحُوا مِثْلًا وَعِبْرَةً⁽²⁾.

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نهى).

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 386 / 8.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشورى من الآية 13 إلى سورة الزخرف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشورى من الآية 13 إلى سورة الزخرف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 8-9948-644-66-978
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
مج. 53: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشورى من الآية 13 إلى سورة الزخرف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 8-9948-644-66-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"